

العلامة الأديب الدكتور مُجَدُّ تقي الدين الهلالي المراكشي شاعرا

**THE SCHOLAR, THE WRITER, DR MUHAMMAD TAQI
UDDIN ALHILALI AL-MARAKASHI, AS A POET**

مُجَدُّ مجاهد¹

ABSTRACT:

This research paper deals with the poetic aspect of the scholar Dr. Muhammad Taqi ud-Din Alhilali Almarrakchi, one of the Moroccan writers and authors of the fourteenth century AH. He was a poet, writer, translator and orator. And his literature is distinguished by his wide knowledge and abundant culture. He was fluent in five languages, these are: Hebrew, German, English and Spanish, in addition to Arabic. Sheikh Al-Hilali actively contributed to the field of poetry. And he has a (Deevan) collection of his poetry "Minhatul Kabirul Mutaali fi sher akhbari Muhammad Taqi al-Din al-Hilali,". In all, Sheikh Hilali was a great poet. This becomes apparent while reading his poetry. Therefore, I saw relevant to introduce the characteristics, features and topics of his poetry in this research paper.

KEYWORDS: The Poetry of Sheikh Al-Hilali, Its Themes, Characteristics And Features, And Foreign Materials In His Poetry.

الكلمات: شعر الشيخ الهلالي ، موضوعاته ، خصائصه ، ملامحه ، المواد الأجنبية في شعره.

¹ باحث للدكتوراه بمركز الدراسات العربية والأفريقية، في جامعة جواهر لال نهرو بنينو دلهي

ملخص البحث:

يتناول هذا البحث الجانب الشعري للعلامة الدكتور مُجَّد تقي الدين الهلالي المراكشي، أحد من الكتاب والأدباء المغاربة في القرن الرابع عشر الهجري، فقد كان شاعرا وكاتباً و مترجماً وخطيباً، وامتاز أدبه باطلاعه الواسع وثقافته الغزيرة إذ كان يتقن خمس لغات وهي العبرية، والألمانية، والإنجليزية، والأسبانية، بالإضافة إلى العربية، وساهم الشيخ الهلالي في مجال الشعر مساهمة فعالة وقرض أشعاراً كثيرة بمناسبة مختلفة وله ديوان سمي بـ "منحة الكبير المتعالي في شعر وأخبار مُجَّد تقي الدين الهلالي، وبالجملة كان الشيخ شاعراً كبيراً، يبدو ذلك واضحاً حال قراءة شعره. فلذلك استحق مني هذا العلم الشامخ بجدارة أن أتناول التعريف بخصائص وميزات وموضوعات شعره في هذا البحث.

الكلمات المفتاحية: خصائص وميزات شعر الهلالي والمواد الأجنبية فيه

يحتوي هذا المبحث على مطلبين. وسأتناول تحت عناوينهما التعريف بموضوعات

وخصائص وميزات شعره في هذا البحث.

قال الشيخ الهلالي قصائد كثيرة في مناسبات عديدة، كما قال بنفسه:

"قد نظمت شعراً كثيراً، وبعضه جيد، وبعضه متوسط، وإنما عنيت به في أول الشباب قبل أن يشغلني عنه شاغل، فلما فتح الله لي باب كتابه وسنة نبهه، والجهاد في سبيله، ومحاربة المخالفين من مستعمرين ومطاياهم- وهم شرمنهم-، ومبتدعين، وزنادقة منافقين، وآخرين معلنين؛ شغل بالي عن الشعر؛ فتركت الاشتغال به، فوقفت في الدرجة التي وصلتها منه!! ولم أزد صعوداً في مرقاته، ولولا ذلك لبلغت فيه غاية بعيدة -فيما أظن-؛ لأن من أراد بلوغ الغاية في الشعر، وفتح له بابه، لا بد يستمر في نظمه طول عمره ولا يهجره، ومتى هجر الشاعر الشعر هجره الشعر، إلا أنني لم أزل أعود إليه كلما احتجت إليه؛ فأستدرضه اليباس حتى يجود لي بقطرات"².

² منحة الكبير المتعالي، للشيخ الهلالي ص 101

المطلب الأول: موضوعات شعر الهلالي

قد قام الهلالي بذكر أشعار المناسبات في "ديوانه"، ونظم فيه مواد علمية شرعية، أو لغوية، أو تاريخية، وتناول فيه مختلف فنون الشعر مثل المدح، والهجاء، والغزل، والوصف، والشكوى والعتاب، والدعوة إلى التمسك بكتاب الله-تعالى-، وبالسنن النبوية، والتوحيد الصحيح، ونبد الشرك والتقليد، والمساجلة، والثناء، والحكاية، ففي السطور الآتية سأقوم بذكر هذه الفنون مع بعض الأشعار التي قالها الهلالي في ذلك الصدد، كي تتضح لنا مهارته الشعرية البديهة.

المدح:

لم يكن يمدح الهلالي إلا من يستحق المدح في نظره؛ فمدح -مثلا- أستاذه الأول؛ سأذكر هنا بعض أشعار القصيدة، وهي كما يلي:

"إن كان رأيك أن أبقى بذا النادي
بغير علم يرى عندي ولا زاد
فما تراه هداك الله خالقنا
أنت المطاع بعون المالك الهادي
لكنني يا أبا الخيرات أنشدكم
بيتي جرير وإن لم يحل إنشادي
ماذا ترى في عيال قد بليت بهم
لم أحص عدتهم إلا بعدادي
كانوا ثمانين أو زادوا ثمانية
لو لا رجاؤك قد قتلت أولادي
محمد سيدي ياسيد الحنفا
والصالحين معا بدون إفناد

أنت الذي ما رأيت عيناى مثلك فى
ذالعصر من حاضر فى الناس أوباد"³

الهجاء:

وقد قال الهلالي بعض القصائد فى الهجاء، وهجاؤه مرير، وصرح أنه كان سببا فى القضاء على بعض من هجاه، كما يقول فى هجاء شيخ متصوف، وصرح بسبب هجوه؛ فقال: "كان قد شتمنى بسوء فى درس الوعظ الذى كان يلقيه بأحد مساجد تطوان". هنا سأقوم بذكر بعض الأشعار من تلك القصيدة، وهى كما يلى:

"أثتمنى يا ابن اللثام بلاسبب
وأنت يمين الله قرد بلا ذنب
فلا أنت ذو علم ولا أنت ذو حجى
ولا أنت ذو تقوى ولا أنت ذو حسب
ولا أنت ذو عرض مصون موفر
ولا أنت ذو حلم ولا أنت ذو نسب"⁴

والهلالي فى قصائده منفعل، بل هو فى بعضها هائج، يهجو من تعامل مع المستعمرين، أو لزم الصوت تجاههم، و يهجو من وقف فى طريقه فى الدعوة إلى الله، بل لعله هجا بعض من مر به ولم يسلم عليه، أو من تعاطف مع أهل الباطل.

وكما هجا الهلالي بعض الدول، سأذكر هنا على سبيل المثال بعض الأشعار التى قالها فى سقوط فرنسا، واستيلاء الألمان عليها ردا على من كان يناصرها، بتطوان فى ذى القعدة 1361هـ.

"يقول جهول فى الضلالة سابح

³ منحة الكبير المتعالى، للشيخ الهلالي ص:310

⁴ منحة الكبير المتعالى، للشيخ الهلالي ص:127

وبالزور والعدوان والإفك نابح
فرنسة فى قىء الحىاة ولم تمء
سءبقى على العلاء ءوما ءكافء
فقالء له الأءءار وهى ضواءك
ءمىء ءمقا إن سبغك طاءء
إءا ما أراء الله إءلاك أمة
فلم ءك ءنءىها المن والمءاءء⁵

الغزل:

للهالى قساءء وأشعار ءءىرة فى الغزل، ءشعره (فى الشواب الفرنسىاء)، وقال لما ءرء
الهلالى إلى مءطة القطار لىوءع بعض الأءءاء، وراءه فى أءسن زىءءه؛ فنظم بىءىن،
ضمنهما شطرا من بىء مشهور من شواهد النءو:

وءانءك البىءان ءما لىلى:

"من أشءكى ماها قلبى من الهوى ءءاة بىوء الروم أءء ظباءها
ءماءىن هونا فى المءطة ساعة فما زالت القءلى ءمء ءماءها"⁶

وهءا نظم الهلالى أبااء فى ناظرة ءءب العربىة بىرلىن؛ ووصف فىها ءمالها وءسنها،
ءما هو بقول:

"وءارىة قء صاؤها الله فءنة
من الءسن ءلقى فى الهوى ءل من نظر
مءى أقبء فالناس ءلءظ وءهها

⁵ منءة ءبىر المءعالى، للشىء الهلالى ص: 240

⁶ منءة ءبىر المءعالى، للشىء الهلالى ص: 113

وإذا أدبرت فالكل يتبعها النظر
جميع معاني الحسن فيها تجمعت
فتم بدأ فيها على الناظر الخطر"⁷

الوصف:

إن الوصف احتل رقعة لا بأس بها، كما وصف سفينة، سأقوم هنا بذكر بعض الأشعار التي قالها على ظهر الفلك:

"سلام من الله السلام على البحر
سلام على الفلك الذي فوقه يجري
ركبناه من مرسلية في عشية
وروم وعربان عليه بلا حصر
ولما استوينا فوقه صرت قائلا
أعوذ برب الناس من كرب البحر"⁸

الشكوى والعتاب:

تناول الهلالي في شعره الشكوى والعتاب، وهو يظهرهما في شعره ممزوجا تارة بالهجاء، وتارة بالمدح، وتارة بالوصف، وتارة بالابتهاال، فها هو يبتهل إلى الله -تعالى- وفيه شكوى من حاله في عجره وبجره؛ سأقوم هنا بذكر بعض الأشعار من هذا النوع:

"إليك أشكو عجري وجرري وغمتي وما اعترى من كدري
أنت الذي تفرج الكروبا أنت الذي تنور القلوبا
أنت الذي تجبر كل كسر أنت الذي تدفع كل ضرر

⁷ منحة الكبير المتعالي، للشيخ الهلالي ص:361

⁸ منحة الكبير المتعالي، للشيخ الهلالي ص:340

أنت الذي تذهب كل غمة أنت الذي تأتي بكل نعمة⁹
الدعوة إلى التمسك بكتاب الله العزيز وسنة نبيه الكريم، والتوحيد الصحيح، ونبذ
الشرك والتقليد:

إن الهلالي أكثر في ديوانه من الدعوة إلى التمسك بالكتاب والسنة الصحيحة، ونبذ ما
زخرفه الرجال، وما تمليه العقول، وما عرف من المؤلف، وشاع في الأعراف، وحث على
ضرورة التمسك بما كان عليه خير الناس (الصحابة والتابعون)
فهو يقول :

"لقد غفلوا عن قول أصدق قائل

لدى النمل تحذيرا لنا وعظات

ففي (آل عمران) و(الأعراف) و(النساء)

كذلك آي غير مشتبهات¹⁰

يشير الهلالي في البيت الأول إلى قوله -تعالى- : (ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم
لا يشعرون) {النمل:50}.

وفي الثاني إلى قوله -تعالى- : (ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين) {آل عمران:54}.
و (أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون) [الأعراف:99]، و(والله أعلم
بأعدائكم وكفى بالله كيلا وكفى بالله نصيرا)[النساء:45]
المساجلة:

ساجل الهلالي مجموعة من مشاهير الأعلام، وأنشد أبياتا أو قصائد في مجالس مختلفة،
سأذكر هنا على سبيل المثال المساجلة والمعارضة بين الهلالي وبين الحاج أحمد الجوادي

⁹ منحة الكبير المتعالي، للشيخ الهلالي ص:349

¹⁰ منحة الكبير المتعالي، للشيخ الهلالي ص:66

الدبيل (يناير- يونيو 2021ء) الدكتور فُجْد تقي الدين الهلالي المراكشي شاعرا 73-85

الموصللي، إذ لقيه في بيت محمود بك الجليلي بالموصل سنة 1948م فالتفت الجوادي إلى الهلالي وقال مخاطبا له:

قال الحريري:

"لا تزر من تحب في كل شهر

غير يوم ولا تزد عليه

فانتظار الهلال في الشهر يوما

ثم لا تنظر العيون إليه"¹¹

وكانه أشار إلى أن الهلالي لم يزره إلا مرة، أو أنه لا حاجة له برؤية الهلالي ثم لا يعود، فقال الهلالي معارضا وملمحا:

"زر أحباك كل يوم ولا تخش مالا من كثرة الازدياد

فبعود الهلال كل مساء قد تسامى لرتبة الأبدار"¹²

الرتاء:

شعر الهلالي في الرثاء قليل، ولكنه مؤثر وبلغ، ومن رثاهم الهلالي: شكيب أرسلان؛ والملك فُجْد الخامس -ملك المغرب- ، وبعض الأشعار لرتاء ملك المغرب كما يلي:

"دار الغرور فكم دعت من سيد

شامي السلاح وأوهنت من أيد

إن أضحكت أبكت وإن هي قد صفت

فصفاؤها متعقب بمنكد"¹³

الحكاية:

¹¹ مقامات الحريري -المقامة الفرضية-، ص:152

¹² منحة الكبير المتعالي، للشيخ الهلالي ص:394

¹³ منحة الكبير المتعالي، للشيخ الهلالي ص:302

هذا هو القسم الذي غلب على شعر الهلالي، وربما دخلت فيه الرحلة والرتاء والشعر الطريف، وغير ذلك.

وبالجملة؛ فأشعار الهلالي قوية في سبكها، قوية في مضمونها، أثار فيها كل من له غيرة على دينه ووطنه أن يقوم بدوره، وأن ينهض بواجبه، وجهد فيها على هجاء كل من أراد شرا ببلده، أو اعتدى على عقيدته ودينه، أو لم يستسلم لسنة نبيه ﷺ؛ فالهلالي لم يمل من تصحيح الأخطاء، وهجاء الداعين إليها.¹⁴

المطلب الثاني: خصائص شعر الشيخ الهلالي ومميزاته

الشيخ الهلالي هو شاعر من الشعراء الكبار الذين يبقى شعرهم أمموجا حقيقا لشعر الإصلاح بالمغرب الحديث، بل سجلا واقعيا، وذاكرة حية لهذه الحقيقة من تاريخ المغرب الأقصى، ويظل الشاعر الهلالي أحد رواد هذا اللون من الشعر، وقطبا من أقطاب الأدب الإسلامي الحديث عموما، وقيمة شعر الهلالي ومنزلته تكمن في خصائصه المميزة، وسماته المتفردة، ففي السطور الآتية سأقوم بذكر خصائص شعر الهلالي ومميزاته كي تتضح لنا عبقريته في الشعر.

المواد الأجنبية في شعر الهلالي:

من أساليب الهلالي في كتبه كلها الاسترسال والاستطراد وإرخاء القلم، والخروج عن صلب الموضوع الذي هو بصدده ووقع له هذا كثيرا في الديوان؛ فأورد فيه قصصا وحكايات، جلها بمناسبة قول الأبيات، أو مايتعلق بها من مناسبات، ولعله يشتمل أحيانا على إفاضات وإفاضات متنوعة، جلها تخص ترجمته ومواقفه، أو تسجل بعض مواقفه من بعض الأحداث الجسام، أو القضايا الفخام، أو المسائل المهام.

¹⁴ منحة الكبير المتعالي، للشيخ الهلالي ص: 73

الإبداع في شعر الهلالي: إن شعر الهلالي قوي ومتماسك، وهو ذو نفس طويلة فيه، ويجد القارئ ألفاظه جزلة فصيحة، عدا نتف يسيرة، وخصوصا تلك القصيدة التي جرت على الأوزان المستحدثة.

و التزم الهلالي في جل قصائده عمود الشعر، وطريقة المتقدمين، وأفكاره سامية إلا نزا يسيرا، " هي بعض من تكلم فيه عيوب خلقية وتفرع، ولعله يذهب أحيانا إلى الهزل؛ فيتابع خيالا ماجنا، أو يذكر حادثة فيها مجون شاب دب إلى آخر ليلا، وكفى في هذه، ولم يفصح عن ذكر العورات؛"¹⁵

ويعلم القارئ للديوان لشعر الهلالي أنه يصلح لأن يكون وثيقة تاريخية حافلة بالكفاح السياسي الطويل في مقارعة الاستعمار، وفيه كثرة البعث والأسفار، وكان ذلك مقرونا بكفاح آخر في ميدان الإصلاح؛ فهو يتضمن هموم وقضايا ومصير الأمة، بل هذا لا يكون من المبالغة إن قيل:

" إن ديوان الهلالي يعد مثالا لمن سخر الشعر للدفاع عن عقيدة التوحيد ومنهج أهل السنة والجماعة".¹⁶

قال بعض تلاميذ الهلالي عنه: "كان شاعرا عبقريا، صرف جل شعره في الذود عن عقيدة التوحيد والسنة المطهرة، وهاجم بقوافيه البليغة أهل الشرك وأصحاب البدع، وأرسلها عليهم شهابا محرقة، تدفع باطلهم"¹⁷
يمتاز شعر الهلالي بميزات عديدة، أهمها:

أولا: السهولة والانسياب والوضوح

¹⁵ منحة الكبير المتعالي، للشيخ الهلالي ص: 57

¹⁶ نفس المصدر

¹⁷ منحة الكبير المتعالي، للشيخ الهلالي ص: 57

الدليل (يناير- يونيو 2021ء) الدكتور محمد تقي الدين الهلالي المراكشي شاعرا 73-85

الهلالي لا يعقد الكلام، ولا يستخدم الغامض من الألفاظ، بل يميل في شعره كله إلى السهولة واليسير، والتزم هذا مع استخدامه الاستعارات، وما يسمى بالمجازات، والتصوير الفني، إلا أن القارئ يفهم مراد ناظمه بكل يسر.

قد يخرج شعره في بعض الأحيان عن التصوير والمجازات ليصبح شعرا تقريريا، شبيها بالمنظومات والأراجيز.

وقد انتبه الهلالي لذلك، فقال:

"فخذها على ما جاء من غير كلفة

بنظم ركيك لا جميل ولا حال"¹⁸

ثانيا: التصوير الفني:

إن الشيخ الهلالي لا يستعمل التصوير بكثرة في أشعاره، ولكنه حين يستعمله يبلغ فيه درجة عالية من الإتقان: كما يقول:

"هبطت إليك من المقام العالي عذراء ذات ملاحه وجمال

يعشي سناها الناظرين إذا بدت ويصاب مبصره بشبه خيال"¹⁹

ثالثا: التصويت الفني:

"إن التصويت الفني من الفنون الشعرية الجميلة الشائعة في الآداب العالمية، ولكن ما تميز به تقي الدين هو إسهامه في مجال التصويت الفني، وهو إحداث الأصوات في الشعر:

ومن ذلك قوله في القصيدة الديكية :

وصرت تصرخ إذ أبت دجاجته محاكيا صوتها ككا ككا كيك"²⁰

¹⁸ منحة الكبير المتعالي، للشيخ الهلالي ص: 77

¹⁹ منحة الكبير المتعالي، للشيخ الهلالي ص: 78

²⁰ نفس المصدر ص: 79

رابعا: إدخاله لغات متعددة في شعره:

مما امتاز به الهلالي عن أقرانه من العلماء معرفته اللغات المتعددة؛ فكان يتقن العربية، والإنجليزية، والألمانية والعبرية والأردية والأماغزية (البربرية)، والسريانية، وملما بشيء من الفرنسية والإسبانية والفارسية، وكان يدعو لذلك نثرا ونظما، كما يقول في هذا الصدد:

"وكن للغات العرب والعجم دارسا لتفتح من أغلاقها كل أقفال

وداري لسان القوم يأمن مكرهم كذلك قال الناس من قبل أجيال"²¹

الهلالي لم ينس اللغات الأخرى حتى في شعره.

خامسا: النقد اللاذع:

أبرز ما في الديوان قصائد الهجاء، والهلالي يحمل هم الدعوة إلى الله، ويحرص على نشر التوحيد والسنة، ويحارب الشرك والتقليد؛ فمن وقف في طريق ذلك هجاه و شواه، ولم تبق له عنده حرمة ألبتة. وسلك في الهجاء منهجا راع فيها الضوابط الشرعية.

سادسا: تضمين الأدلة الشرعية في الأبيات:

من آثار حرص الهلالي على الشرع؛ أنه أشار إلى بعض الآيات والأحاديث وجعلها في قصائده، وساقها في معرض الاحتجاج، وهذا من أسباب جعل التقرير ظاهرا في ديوانه، ولكن لم يخل ذلك من بلاغة وملاحة أظهرت مقدرته على استعمال عبارات أهل هذا العلم، ولا سيما في الهجو؛ فها هو يقول عن أدلة دجال حداد يروي الحديث:

"عن فحمة بن دخان عن أبي شرد كير عن الشيخ مطراق بن سندان

يقول لا تتقوا فإن صاحبنا حديثه محض تدليس وبهتان"²²

²¹ منحة الكبير المتعالي، للشيخ الهلالي ص: 80

²² منحة الكبير المتعالي، للشيخ الهلالي ص: 82

الديبل (يناير- يونيو 2021ء الدكتور فحّمد تقي الدين الهلالي المراكشي شاعرا 73-85

ملخص القول: في الحقيقة، إن الشيخ الهلالي يقول الشعر من غير تكلف، ويجري على لسانه وقلمه طبعاً، ويعبر عن عواطفه من غير مجازاة، وتبدو للقارئ مهارته في مجال الشعر، وهكذا يجد بدهاة في شعره، وذلك يدل على ذكائه وفطنته، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده.



This work is licensed under a [Creative Commons Attribution-NonCommercial-ShareAlike 4.0 International \(CC BY-NC-SA 4.0\)](https://creativecommons.org/licenses/by-nc-sa/4.0/)
